ما هو التاريخ؟

إدوارد كار

ترجمة: ريهام عبد المعبود

عالم الأدب
للترجمة والنشر

ما هو التاريخ؟

عندما نحاول إجابة سؤال (ما هو التاريخ؟) فإن إجاباتنا تعكس بشكل واع أو غير واع العصر الذي نعيش فيه، وتشكل جزءًا من إجاباتنا عن السؤال الكبير الخاص بما هي النظرة التي ننظر بها إلى مجتمعنا.

يرى المؤلف أنه ليس كل واقعة ماضية تعد تاريخية، أو ينظر إليها المؤرخ باعتبارها كذلك، ومن ثم يشرع المؤلف في الجواب عن سؤال دقيق: ما هو المعيار الذي يميز الوقائع التاريخية عن غيرها من الوقائع الماضية؟ وفي سبيل ذلك يناقش عددًا من القضايا ذات الصلة بمشكلات الفكر التاريخي من منظور فلسفي، وقد قسم هذه القضايا إلى: (المؤرخ وحقائقه - المجتمع والفرد - التاريخ والعلم والأخلاق - السببية في التاريخ - التاريخ بوصفه تقدمًا - الآفاق المتسعة).

هذا الكتاب هو واحد من الكتب المرجعية الأساسية في إبستمولوجيا التاريخ، تعريفًا بالحقل المعرفي ومناهج النظر فيه.

مؤلف الكتاب: مؤرخ وصحفي ودبلوماسي إنجليزي وأحد كبار منظري التاريخ في الفكر الغربي المعاصر.

عالم الأدب
للترجمة والنشر

منشورات ابن النديم
Ibn Nadim Editions

الثمن: 6$

ISBN 978-977-6539-53-2
9 789776 539532

www.aalamaladab.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المؤرخ ووقائعه	٧
المجتمع والفرد	٣٠
التاريخ والعلم والأخلاق	٥٤
السببية في التاريخ	٨٢
التاريخ باعتباره تقدمًا	١٠٢
الأفق المتسع	١٢٤
من ملفات إدوارد هارليت كار: ملاحظات لأجل إصدار جديد من «*ما هو التاريخ؟*»	١٤٥
فوضىٰ التاريخ هجمات الإحصاء/ علم النفس البنيوية: فوضىٰ الأدب/ اللسانيات يوتوبيا . . . إلخ [مخطوطة أخرىٰ كُتب عليها: «*الفصل الأخير*: اليوتوبيا/ معنىٰ التاريخ»]	١٤٧

عينة للقراءة

المؤرخ ووقائعه

ما هو التاريخ؟ كي لا يظن أحد بأنه سؤال غير ضروري وزائد عن الحاجة، سأستشهد بفقرتين ذُكرتا في نسختي (Cambridge Modern History) الأولىٰ والثانية. ففي تقريره بتاريخ أكتوبر عام (١٨٩٦م)، كتب أكتون إلىٰ المشرف علىٰ مطبعة جامعة كامبريدج عن المؤلَّف الذي تعهد بالإشراف عليه:

إنها فرصة عظيمة لتدوين كامل المعرفة التي خلّفها القرن التاسع عشر وراءه بأفضل طريقة يمكن أن يستفيد منها أكبر عدد من الناس . . . وسيتسنىٰ لنا فعل ذلك وإثبات الوثيقة الأخيرة وآخر ما توصلت إليه الأبحاث الدولية إثباتًا قاطعًا، من خلال تقسيم العمل بحكمة.

لن نستطيع أن نملك تاريخًا نهائيًا في هذا الجيل، ولكننا -بعد أن أصبحت كافة المعلومات في متناول أيدينا وأصبح بإمكاننا حل كافة المشكلات التي تواجهنا- أصبحنا قادرين علىٰ الاستغناء عن التاريخ التقليدي، وتوضيح النقطة التي اهتدينا إليها في الطريق وأن نشاركها مع الأجيال القادمة»[1].

وبعد ستين عامًا تقريبًا، عقّب السير جورج كلارك في مقدمته العامة للطبعة الثانية من (Cambridge Modern History) علىٰ اعتقاد أكتون ومعاونيه بأنه من الممكن كتابة «التاريخ النهائي» في يوم من الأيام قائلًا:

«يتطلع المؤرخون من الأجيال القادمة إلىٰ تحقيق هذا المطمع، واضعين في حسبانهم أنه سيتم استبدال مؤلفهم مرة بعد أخرىٰ، وأن ما وصل إليهم من معرفة الماضي إنما وصل إليهم عن طريق عقل إنساني -أو أكثر- قام «بمعالجتها»؛ ولذا

(1) The Cambridge Modern History: Its Origin, Authorship and Produetion (1907), pp. 10-12.

فهي لا يمكن أن تتكون من [مجرد] ذرات أولية أو شخصية لا يمكن تغييرها . . . ويبدو أن هذا الاستقصاء بلا نهاية، ولجأ بعض الباحثين نافدي الصبر إلىٰ التشكيك أو علىٰ الأقل إلىٰ المبدأ القائل بأنه طالما أن كل الأحكام التاريخية تتضمن أشخاصًا ووجهات نظر؛ فإنَّ الأحكام التاريخية لا تختلف في قيمتها، وأنه لا وجود لحقيقة تاريخية «موضوعية» »[1].

وأينما تبدأ الجدالات بين المثقفين؛ يتسع مجال البحث. وأتمنىٰ أن أكون مسايرًا للوضع الراهن بشكل كافٍ كي أدرك أن ما كُتب في تسعينيات القرن التاسع عشر هو مجرد هراء. إلا أنني لست متقدمًا بما فيه الكفاية كي أقول بأن أي شيء كُتب في خمسينيات هذا القرن يجب أن يكون معقولًا. وبالفعل، ربما خطر في أذهانكم أن هذا البحث قد يشط إلىٰ شيء آخر أكثر اتساعًا من طبيعة التاريخ. فالتناقض بين أكتون والسير جورج كلارك ما هو إلا انعكاس للتغير الحاصل في نظرتنا الشاملة للمجتمع في الفترة الفاصلة بين تصريحات كل منهما. لقد امتلأ حديث أكتون بالإيمان والتفاؤل والثقة الخالصة في العصر الفيكتوري المتأخر، بينما تخلل حديث السير كلارك الحيرة والشك والارتباك التي وسمت جيل الهزيمة. عندما نحاول إجابة سؤال (ما هو التاريخ؟) تعكس إجاباتُنا -بشكل واعٍ أو غير واعٍ- العصر الذي نعيش فيه، وتشكّل جزءًا من إجابتنا عن السؤال الكبير الخاص بما هي النظرة التي ننظر بها إلىٰ مجتمعنا. ولا أخشىٰ أن يتم اعتبار موضوعي -بعد فحص دقيق- بحثًا تافهًا وأن يتم الاستخفاف به بقدر ما أخشىٰ أن أبدو متكبرًا لاختياري موضوعًا واسعًا ومهمًا بهذا الشكل.

لقد كان القرن التاسع عشر عظيمًا فيما يخص الوقائع التاريخية. فقد قال السير جرادجريند (Grad Grind) في كتابه الأوقات العصيبة (Hard Times): «ما أريده هو الوقائع . . . فالوقائع وحدها هي المطلوبة في الحياة». لقد اتفق جميع مؤرخي القرن التاسع عشر مع هذا الرأي. وعندما أشار (رانكه) -عند اعتراضه بحق في ثلاثينيات القرن التاسع عشر علىٰ تفسير التاريخ تفسيرًا أخلاقيًا- إلىٰ أن مهمة المؤرخ هي «مجرد عرض الحال كما هو Wie es gewesen eigentlich»،

(1) The New Cambridge Modern History, i (1957), pp. xxiv-xxv.